اعتقادات وعادات

ليس بين معتقدات البشر ما هو أغرب من الاعتقاد بخلود النفس بعد الموت فقد جهلهُ اليهود القدماء واليونان والرومان على ما يظهر والاَّ فمن العجب ان لا يشار اليهِ ولو تلميحاً في كتبهم الدينية وغيرها فانهُ لم يذكر في التوراة اي العهد القديم بل ذكر في الانجيل فقط ولا ذكرهُ فلاسفة اليونان والرومان في ما تركوهُ للخلف من كتاباتهم وانما اشار سقراط اليهِ اشارة خفيفة وهو يجرع كاس السمّ حيث امل ان يجتمع بتلامذتهِ في ما وراء القبر

غير ان الشعوب القدماء اعتقدوا بهِ فان في التيبت كتابهم الديني صلوات لآلهتهم ان تريحهم اباءهم وامهاتهم في عالم الانوار الآتي . وكذلك كان معتقد كثير من طوائف الناس العتيقة الحقيرة ولا يزال الى الآن معتقد كثير من الطوائف والقبائل والامم المعاصرة لنا . فان اهالي جزيرة غرينلندا يعتقدون انهُ اذا مات انسان منهم سارت روحهُ الى مكان اسمهُ تورنجارسوك وهو مكان صيفهُ دائم وشمسهُ لا تغيب وماؤهُ سلسبيل وصيدهُ كثير من الطير والسمك وعجل البحر والرنة وهذا الصيد اما ان ينال على ادون سبيل واما ان يوجد مطيعاً في مراجل كبيرة . ولكن السفر الى ذلك المكان شاق اذ يتحتم على الارواح ان تقضي خمسة ايام او اكثر منحدرة الى هوة تتلظى بدماء الارواح التي سبقتها . على ان الارواح المسكينة تذوق الامرَّين اذا قضي عليها بالسفر شتاء او وقت هبوب عاصفة لانها قد تصاب بضرر او تموت موتاً ثانياً فتتلاشى ولا يبقى لها اثر

ويعتقد بعض هنود اميركا الجنوبية بوجود عدد من الآلهة منهم الهان واحد للخير وآخر للشر فاذا مات احدهم ذهب الى الاله الذي تسلط على روحهِ في حياتهِ . ومقام تلك الآلهة كهوف في بطن الارض . وجزاء الارواح الصالحة انسكر الابدي . ومنهم قبيلة تعتقد ان موطنها الاصلي كان قرية كبيرة تحت الارض قرب بحيرة وقد امتدت اليها جذور دالية كبيرة فراَوا بواسطتها النور فوق سطح الارض فتسلقها بعض الجريئين منهم فلما بلغوا سطح الارض سرَّهم منظرها ورأوها تغصُّ بقطعان الجواميس وتكسوها الحدائق والبساتين المتدلية الاغصان وفيها من كل فاكهة زوجان فقطفوا بعض عناقيد العنب وعادوا من حيث اتوا فاستطاب قومهم طعمها وعقدوا العزم على النزوح من موطنهم البوس الى موطن يتلألأ سناء ويفيض خيرًا فتسلقوا الدالية رجالاً ونساء كبارًا وصغارًا حتى اذا بلغ نصفهم سطح الارض جاء دور امرأة سمينة وبينما كانت تتسلق الدالية انكسرت بها فسدَّت على بقية قومها نور الشمس .

واهل هذه القبيلة يعتقدون الآن ان من يموت منهم يعود الى اسلافه في بطن الارض فالصاخ يعبر البحيرة اليهم سالماً والفاجر لا يستطيع عبورها

واهالي بولينيسيا يعتقدون ان الجوّ يلتقي بالارض فعلاً عند الأفق ويطبقها كما يطبق القدر غطاؤها فلذلك يسمون الاجانب عنهم "بابالغي" اي شاقي السماء اعتقاداً منهم بانهم هبطوا اليهم من محلٍّ وراءها . وعندهم ان سكان الارض اهل الطبقة السفلى من منزل مُلى البناء متعدد الطبقات فمنها ما هو فوقنا ومنها ما هو تحتنا وان في سقوف الطبقات المختلفة ثقوباً ينزل منها المطر وان الناس واهل الطبقات التي فوقهم والسراديب التي تحتهم يتزاورون من آن الى آن

ومن مضحك الاعتقادات عن الحياة الأخرى اعتقاد احدى القبائل الهمجية بان روح الميت تسير غرباً عند خروجها من صدره حتى تصل جسراً ممتداً من الهة الى آلهة فوق نهر مخيف عميق سريع الجريان . والجسر مصنوع من جذع شجرة صنوبر وقد كشط عنها قشرها فصارت كثيرة الزلق وعند طرف الجسر الآخر ستة اشخاص يرمون الانفس بالحجارة عند مرورها على الجسر فاذا كانت الميت صالحاً مرّت نفسه سالمة الى الجانب الآخر حيث تجد مسارح بهجة للصيد والقنص . واذا كان طالحاً يدرأ الحجارة عن نفسه فيزلق ويسقط الى هوّة عمقها الوف من الاقدام فيمزّق شرّ تمزّق

وهناك قبيلة اسمها قبيلة الماوري اذا ذهب رجالها للحرب غرز كهنتها عصياً في الارض وعلى كلّ عصاً علامة تمثل رجلاً من اولئك الرجال . وعندهم ان كلّ من تسقط عصاه على الارض لسبب من الاسباب يموت في ساحة القتال

وفي غيانا الانكليزية يختنون الاولاد صغاراً ويغرس اهل الخطيبين شجرتين علامة الخطبة فاذا ذبلت احدى الشجرتين تطيروا من ذلك وايقنوا بموت من غرست الشجرة على اسمه . وهذه الخرافة تشبه بعض الخرافات المنتشرة في البلاد المتمدنة فان بعضهم يتشاءمون من ذبول شجرة غرسها رجل ثم غاب ويتوقعون ورود اخبار سيئة عنه . وبعضهم يتشاءمون من سقوط صورة حبيب غائب الى الارض ومن سقوط خاتم الزواج من الاصبع

ومن اغرب العادات واقبحها عادة ذكر ماركو بولو السائح الايطالي الشهير انه سمع بها بين الصينيين في اواخر القرن الثالث عشر ولا تزال متبعة عند بعض القبائل الهمجية الى الآن وهي انه اذا وُلد لرجل ولد وقضت امه ايام النفاس بسلام ونهضت من فراشها حلّ الاب محلها وجاء اصدقاؤه ومعارفه يهنئونه ويحمدون الآلهة على "خلاصه بخير" . وذكر سترابو احد

السياح القدماء في اوائل التاريخ المسيحي هذه العادة بين الايبريين اهل شمالي اسبانيا فقال ان المرأة كانت تنهض بعد الولادة من فراشها لتعطي مكانها لزوجها وتأخذ في معالجته والعناية به . ولا تزال هذه العادة متبعة الى الآن بين اهالي بعض سلالة الايبريين فان الام تنهض حالاً بعد الولادة وتقوم باعمالها واشغالها البيتية على جاري العادة اما الاب فيتمتع في الفراش تحفظاً للطفل فيأتي الجيران ويهنئونه بسلامة القيام . وانتشرت هذه العادة الغريبة من اسبانيا الى فرنسا حيث سميت (faire la couvade) اي الاحتضان . وذكر احد الكتبة الفرنسويين خرافة فرنسوية قديمة قيل فيها ان الملك (au lit et en couche) وترجمتهُ " مضطجع في الفراش يتمخض " . ويقال ان هذه العادة لا تزال معروفة في بعض انحاء فرنسا الجنوبية . وروى آخرانها كانت منتشرة جنوبي البحر الاسود فكان الوالد يعصب رأسهُ ويضطجع في فراشهِ وهو يئنّ والوالدة تعدُّ لهُ الطعام والحمام

وفي جزيرة بورنيو لا يعمل الاب عملاً بآلة حادَّة قبيل ولادة امرأتهِ الاَّ ما كان لازماً لحقلهِ ولا يطلق ناراً ولا يضرب بهيمة ولا يعمل عملاً شاقاً لئلاَّ يلحق بالمولود ضررٌ . وبعد ولادتهِ يمتنع في البيت عدة ايام لا يأكل سوى الارز والملح وقليلاً لمعدة مولودهِ من التضخم . وفي جزائر الهند الغربية اذا وُلد ولدٌ شرعت امهُ حالاً في عمل اعمالها البيتية على جاري عادتها وأخذ ابوهُ يشكو ويتألم فينام في فراشهِ ويتداوى بتنظيم امر اكلهِ ويصوم احياناً مدة طويلة وبعد تمام اربعين يوماً يدعو هو وامرأتهُ الاقرباء للطعام ونكنهم قبلما يجلسون حول المائدة يأخذون ينهشون الاب المتمارض باسنانهم وينهدونهُ بها في كل موضع من جسمهِ حتى يصير مريضاً بالفعل بعد ما كان مريضاً بالوهم . ثم يأتون بشيء من ماء الفلفل ويغسلون به جراحهُ فيتألم شديداً ولكنهُ لا يلفظ كلمة لئلاَّ يعدّ جباناً . ويبقى في فراشهِ اياماً بعد ذلك اما الاقرباء فيواصلون الولائم في منازلهِ على حسابهِ وتمرُّ عليهِ مدة اشهر كاملة لا يأكل فيها لحم طير ولا سمك زعماً انهُ اذا أكل من لحم هذا الحيوان او ذاك أصيب ولدهُ بالآفة الطبيعية التي لذلك الحيوان فاذا اكل لحم ملحفاة نشأ ابنهُ اصمَّ بلا دماغ اذ يعتقدون ان الملحفاة صماء لا دماغ لها

ومثل ذلك يفعلون بالوالد في بعض انحاء اميركا الجنوبية فاذا مات الولد قبل الاوان نسب النساء ذلك الى سكر الاب او نهمهِ او سباحتهِ في النهر والهواء بارد او عدم حلقهِ شعر حاجبيهِ او دوسهِ بقدميهِ قفران النحل التي توجد في الارض او ركوبهِ دابة حتى تعب وعرق وعلى ذلك ينهلن عليهِ بانواع الشتيمة والسباب

وفي شبه جزيرة كمتشكا يضرب والد العروس ووالدتها وجيرانهما العريس بالعصي ضرباً مبرحاً عند اخذ العروس فاذا احتمل الضرب بصبر وثبات دلَّ ذلك على استطاعته حمل كروب الحياة وهمومها والاَّ فلا

ومن اكثر العادات شيوعاً واقدمها لبس خاتم الزواج وهو عادة وثنية قديمة جعلت ترمز الى القيد الذي يقيد المرأة برجلها . في انكلترا تلبس الزوجة الخاتم دون الزوج واما في المانيا فيلبسهُ الزوج والزوجة على السواء اشارة الى فقد كلٍّ منهما حريتهُ . والخاتم يلبس في بنصر اليد اليسرى كما هو معلوم ولا يعلم سبب ذلك تماماً . فمنهم من قال ان بين بنصر اليد اليسرى والقلب علاقة بواسطة عصب او شريان او وريد فلذلك اختيرت للبس الخاتم وهو تحكم وهم لا غير . وربما كان اقرب الى العقل والصواب ان لبس الخاتم في بنصر اليد اليسرى اكثر ملاءمة من لبسهِ في غيرها من اصابع اليدين . قال كاتب روماني في القرن الخامس ان الناس كانوا يلبسون خاتم الزواج قبلاً في اليد اليمنى او اليسرى على السواء وفي اية الاصابع ولكن لما زادت اسباب الترف واخذوا ينقشون الخواتم ويرصعونها بالحجارة الكريمة لم يعودوا يلبسونها في اليد اليمنى خشية ان تتلف لان اليد اليمنى اكثر استعمالاً من اليسرى فاقتصروا على لبسها في اليسرى . وانما اختاروا البنصر دون غيرها من اصابع اليد لان الابهام كثيرة الاستعمال والسبابة كثيرة التعرض للاذى والوسطى كبيرة والخنصر صغيرة . واما البنصر فاقلُّ الاصابع استعمالاً وتعرُّضاً للاذى لا سيما وانها متروسة عن الجانبين بالوسطى والخنصر وهي اقلها استقلالاً عن غيرها في تحرُّكها الى الامام والوراء . والسبب الذي يتقدمهُ الناس عادةً للبس الخاتم في اليد اليسرى هو ان القسم الاكبر من القلب في الشطر الايسر من الصدر وعليهِ فاليد اليسرى أقرب اليهِ من اليمنى

وقال بلينوس ان الرومانيين كانوا يصوِّرون آلهتهم وهي لابسة الخواتم في السبابة وان الرومانيين انفسهم كانوا يلبسونها في الوسطى مثل الغاليين والبريطانيين القدماء . والكنيسة اليونانية توصي بلبس الخاتم في اليد اليمنى . والظاهر ان الانكليز كانوا يلبسون خاتم الزواج في اليد اليمنى قبل زمان الاصلاح فنقلوهُ الى اليسرى بعدهُ وعدَّ بعضهم هذا التغيير بدعة من بدع الاصلاح بدليل قولهِ ان من بدع الاصلاح وضع الرجل خاتم الزواج في بنصر يد امرأتهِ اليسرى لا في يدها اليمنى كما جرت بهِ العادة منذ مئات من السنين على ان الكنيسة الكاثوليكية توصي بلبسهِ في اليسرى

ومن العادات الشائعة عند الغربيين والشرقيين على السواء تعليق نعال الخيل في المنازل

او تسميرها عند الابواب منعاً للعين او دفعاً للبلاء كما يرى في منازل كثيرين من اهل العاصمة وطنيين واجانب . قال احد كتبة الانكليز في كلامه عن سامر ذكرهُ في روايته انهُ يخرج الارواح الشريرة بخيل او دلة فرس او حجر صوان مجوَّف . وقال آخر من كتاب القرن السابع عشر ان من العادات الكثيرة الشيوع في عصره ان يسمّر الناس النعال على عتبات منازلهم ابطالاً لسحر السحراء والمشعوذين الذين يدخلون المنازل ويشترط في النعال ان تكون مما يلتقط من الشوارع . وذكر آخر انهُ رأى ١٧ نعلة مسمرة على اعتاب المنازل في شارع من شوارع لندن كان مسكن الكبراء سنة ١٨١٣ . وفي سنة ١٨٥٣ كان قد بقي منها ١١ نعلة . وكانوا في انكلترا الى عهد قريب يتفاءلون من التقاط قطع الحديد القديم ولا سيما النعال حتى ان نلسون الشهير اعتبر نعلة الى سارية بارجتهِ فكتوريا اعتقاداً بانها تقيهِ ريب المنون وتدفع عنهُ ما لا يُدفع ولكنهُ قتل على ظهرها في معركة طرف الغار كما هو معلوم

واذا المنية أنشبت اظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

وفي امريكا اعتقاد بان يوم الجمعة كان يوم نحس للولايات المتحدة الاميركية . ففيهِ سافر كولمبوس لاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ وفيهِ رأى جزائر الهند الغربية وفيهِ أقلع عائداً الى بلادهِ سنة ١٤٩٣ وسافر الى اميركا ثانية ورأى البرّ الاعظم واكتشفهُ ولم يكن يعلم ذلك في بادىء الامر . وفيهِ ركب المهاجرون الانكليز السفينة المسمّاة "ماي فلور" قاصدين اميركا هرباً من الاضطهاد وفيهِ امضوا المعاهدة التي تعدُّ اساس الاستقلال الاميركي ونزلوا الى البرّ سالمين . وفيهِ وُلد جورج واشنطون محرّر اميركا ونودي باستقلال الولايات المتحدة

هذا والناس في اختلاف عقول واذواق واخلاق مثلما هم في اختلاف وجوه وكلٌّ يدعي انهُ صاحب العقل الراجح والذوق السليم والخلق الرضي ولو لم يكن على شيء من ذلك . فالمتمدنون يحدون بلبس الاسود يحسبون ذلك امراً طبيعياً ولكن من الناس من يحد بلبس الابيض مثل اهل استراليا الاصليين . وتراهم تمثل الشيطان اسود اللون في صورهم على حين ان بعض السودان في افريقية يصورونهُ ابيض اللون . وعندهم ان جهنم موضع تكتنفهُ النيران وتتدفع السنة اللهب من كل جوانبهِ . اما سكان الاصقاع المتجمدة فيمثلونها مكاناً شديد البرد والزمهرير دائم الثلج والجمد

كلٌّ "يعظم رأيهُ" يا ليت شعري ما الصحيح